المحاضرة 05

النشأة الأكاديمية لعلم الأنتروبولوجيا

تمهيد

يمكننا القول أن الأنثروبولوجيا قد اكتسبت هويتها المعرفية والعلمية من خلال الممارسات و التطبيقات الاثنوغرافية التي وجدت في الحضارات السابقة، خصوصا ما تم انجازه من قبل الرحالة في الحضارة العربية الاسلامية، حيث تمكنوا من تقعيد العمل الأثنوغرافي وفق قواعد منهجية دقيقة، ولا شك أن كتب مفكري عصر التنوير في أوربا قد شكلت أرضية معرفية أكثر تحديدا وتوجيها للبحث الأنثروبولوجي من حيث الاهتمام بموضوعات البحث، و المضي للاستقلال والتميز في الساحة البحثية الأكاديمية خصوصا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية مطلع القرن العشرين، وفي ما يلي تتبع لأهم الممارسات والأعمال الميدانية التي أرست أسس ودعائم الأنتروبولوجيا كعلم قائم بذاته.

1- بعثة جامعة كامبردج إلى جزرمضايق توريس

Cambridge Expédition to Torres Straits

تعتبر هذه البعثة العلمية التي أوفدتها جامعة كامبريدج الى مضايق توريس في المحيط الهادي ما بين سنتي1898 إلى 1899من الرحلات العلمية البحثية الأولى في مجال الأنثروبولوجيا حتى وان كانت قد سبقتها الدراسة الميدانية التي قام بها لويس هنري مورغان من خلال قيامه بدراسة ميدانية على بعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية عام 1851، إضافة إلى الدراسة الميدانية التي أجراها فرانس بواس عام 1901على بعض قبائل الاسكيمو وبعض قبائل الهنود الحمر ، وكانت الرحلة البحثية الميدانية الى مضايق توريس بوحي من السير جيمس فريزر وبتمويل من جامعة كمبريدج و تحت إشراف عالم الأحياء المائية الشهير في فترة سابقة قبل أن يتحول الى مجال الأنثروبولوجيا ، انه الأستاذ "ألفرد كورت هادون، 1855.1940 Alfred Cort Haddon" صاحب النزعة العلمية والتجريبية والتي بمقتضى التزامه بها عند القيام بالأبحاث أطلق عليه مؤسس ورائد الاتجاه العلمي في الأبحاث الحقلية. والى جانب Haddon كانت جامعة كمبريديج متعاقدة كذلك مع علمين بارزين لهما مكانة علمية مرموقة وهما مايرز Mayers و ريفرز Riversلقد كان هذين الأخيرين من أعضاء بعثة كمبريدج الى مضايق توريس عام 1898. اضافة الى ماكدوجال William. Mcdougallوالثلاثة كانوا مختصين في علم النفس.

لقد شكلت بعثة جامعة كامبريدج الى مضايق توريس أول بداية جادة لضمان نوعية البيانات الأنثروبولوجية في بداية مساره العلمي والعملي وهو ألفرد كورت هادون، حيث تمكن من جمع مواد اثنوغرافية غزيرة ومتنوعة، حيث جلب معه كتاب:" ملاحظات وتساؤلات" ، وبعد عودته أيضا كتب بحوثا في موضوعات أنثروبولوجية واستمر في تطوير اهتماماته الأنثروبولوجية.

لقد كانت بعثة توريس الى مضايق توريس بين أستراليا وغانا الجديدة كما ذكر هانيس معلقا :" لقد ولدت الأنثروبولوجيا البريطانية من خلال عملهم."[1].

2- دراسة فرانس بواس للاسكيمو في جزيرة بافن:

وكانت دراسة فرانس بواس للاسكيمو قد تمت خلال الفترة من أغسطس 1883وحتى أغسطس 1884 بتمويل من إحدى الصحف الألمانية على أساس أن يوافيها بواس بمقالات عن رحلته، وكان هدف الدراسة كما حدده بواس هو التعرف على مدى ارتباط هجرات الاسكيمو الحاليين بالطبيعة الفيزيقية للأرض وتضاريسها، وبمعنى آخر العلاقة بين إدراك الاسكيمو لجغرافية الموطن الذي يعيشون في نطاقه وبين أنماط تحركهم عبر هذا الموطن.[2]

وبعد سنوات قليلة وتحديدا عام 1888 نشر فرانس بواس دراسته في كتاب تحت عنوان The Center Eskimo حيث برز جليا اهتماماته الخاصة بإبراز المحددات المميزة لثقافة الاسكيمو من حيث مورفولوجيا المكان الذي تتوزع وتنتشر به القبائل، وأساليب ووسائل الصيد، وكيفيات وأشكال بناء المساكن، وكيفيات وطرائق التنقل، وممارسة التجارة، ومكونات وعناصر و خصوصيات الحياة الاجتماعية والممارسات الدينية، والوسائل التكنولوجية المتاحة لديهم، اضافة الى المظاهر الفلكلورية التي يتميزون بها.

لقد شهدت الممارسة الأنثروبولوجية مع فرانس بواس منعطفا حقيقيا، فقد كان بواس رجل ميدان، كانت التحقيقات البحثية التي أجراها ابتداء من السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر رائدة خاصة بين قبائل كواكيوتل Kwakutil والشينوك Chinook من كولومبيا البريطانية،

3- راد كليف براون و دراسة جزرالأندمان The Andaman Islanders

قام عالم الأنثروبولوجيا الأنجليزي ألفريد ريغنالد رادكليف براون Alfred Reginald Radcliffe-Brownدراسة حول سكان جزر الأندمان، كان راد كليف براون قد درس فروعا متعددة في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية كالفلسفة وعلم النفس والاقتصاد والعلوم الطبيعيّة بجامعة كمبردج، أين تخرج في هذه الأخيرة ، درس راد كليف براون بجامعات عديدة وسيدني، وشيكاغو، وبعدها حاز السبق بجامعة أكسفورد حيث صار أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة الأوّل.

من اهتماماته البحثية المبكرة في مجال الأنثروبولوجيا هو التركيز على دراسة السكان الأصليّين لأستراليا .ومن أبرز الدراسات الحقلية الممنهجة والدقيقة التي قام بها كانت بين سنتي 1906 إلى 1908 بجزر الأندامان(Andaman) .

---

1 – توماس هايلاند ايركسون وآخر: تاريخ النظرية الأنثروبولوجية،

2 – فتحية مُحَمَّد ابراهيم، وآخر: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان

بالإضافة الى ما قام به خلال سنوات 1910 و1913 غرب أستراليا. ومن أبرز ما ركز عليه راد كليف براون خلال دراساته الحقلية التي قام بها هو دراسة البناء الاجتماعي وأنساق القرابة.

من مؤلفات راد كليف براون : "جزر الأندمان" (1922)، "البنية والوظيفة في المجتمع البدائي" (1952)، "علم طبيعي للمجتمع" (1957)، "المنهج في الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة" (1958)

4- مالينوفسكي، برونيسلاف كاسبار MALINOWSKI Bronislaw Kaspar

ولد مالينوفسكي في كراكوفيا " بولونيا Pologne " عام 1884، بعد حصوله على درجة الدكتوراه ،أصر على اعداد أطروحته للدكتوراه في علم الأنثروبولوجيا وكان موضوعها حول :" العائلة عند سكان استراليا الأصليين La Famille chez les Aborigènes d' Australie" عام 1913 وبمساعدة من سليغمان قام بثلاث رحلات اثنوغرافية طويلة في مجموعة من الجزر شرق غينيا الجديدة شمالي استراليا، كانت الأولى إلى جزيرة ميلو عام 1915 حيث أقام بضعة أشهر بين المايلو في جنوب شرق الجزيرة ، ثم قام بالرحلتين الأخرتين إلى جزر التروبرياند وهي عبارة عن أرخبيل بحري l'archipel des Trobriand في الفترة مابين 1915- 1918. وبعدها نشر أشهر كتبه والذي أخذ صيتا كبيرا في مجال الأنثروبولوجيا وكان عنوانه:" .Les Argonautes du pacifique occidental" **وترجمته للعربية :" مغامرو المحيط الهادي الغربي" أو" سكان الأرجوناوتس في غرب المحيط الهادي" "1922"**

ومن خلال الأبحاث التي أجراها مالينوفسكي توصل الى قناعة مفادها:" بأنه يمكن للمجتمع أن يفهم من خلال الطريقة الكلية، كوحدة للأجزاء المظفورة مع بعضها البعض، وينبغي للتحليل أن يكون تزامنيا " بمعنى غير تاريخي. وكان مالينوفسكي قد صاغ منهجا مفيدا عند قيامه بالدراسات الحقلية كان من أبرز مميزاته هو اعتماده على الملاحظة بالمشاركة، وإتقانه للغة الأهالي

5- موس مارسيل: MAUSS Marcel

هو مارسيل موس عالم اجتماع وأنثروبولوجي فرنسي، ولد في ايبينال "Epinal"عام 1872ينتمي لعائلة يهودية حاخامية، درس الفلسفة في جامعة بوردو حيث كان خاله ايميل دوركهايم يحوز كرسي تعليم التربية وعلم الاجتماع منذ 1887. كان لفكر ايميل دوركهايم تأثير كبير على مارسيل موس خيث قام بما يلي:

دراسة التغيرات الفصلية لدى الاسكيمو:

لم يجري مارسيل موس الدراسة الحقلية بنفسه، وإنما قام بالاعتماد على بعض البيانات الحقلية التي قدمها باحثون حقليون آخرون، ثم قام بإجراء تحليلات معمقة بخصوص المادة والبيانات الميدانية التي حصلها بين يديه وهذا شأنه شأن العديد من الباحثين الفرنسيين الذين ينتمون للمدرسة السوسيولوجية الفرنسية، وكان القيام بالتحليلات المعمقة من أجل الصول إلى صياغة قوانين مبادئ تصلح للتعميم ويمكن تطويرها لاحقا لتصبح نظريات يمكن الاعتماد عليها في تحليل وتفسير ومن ثمة فهما، كما يمكن القيام بالتعميم لتشمل المجتمعات الأخرى.

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها مارسيل موس من خلال التحليل المركز للمعطيات الميدانية حول الاسكيمو هو تلك العلاقة التلازمية بين نوعية الموارد الطبيعية المتوفرة لدى الاسكيمو في زمن أو فصل معين و ظهور أشكال مختلفة من الإقامة لديهم.

لقد كانت إسهامات مارسيل موس متعددة في التأسيس للفكر الأنثروبولوجي، وتقنيات العمل الميداني، ثم إنتاج المعرفة الأنثروبولوجية، خصوصا من خلال غزارة مقالاته التي كتبها ونشر بعضها في مجلة:" الحولية السوسيولوجية" 6-

6- **ايميل دوركايم Emille Durkheim**

وبخصوص اهتمام دوركايم بالاثنولوجيا" حسب التسمية الفرنسية" أو الأنثروبولوجيا فقد جاء في مرحلة لاحقة عن المرحلة الأولى التي كان دوركايم يسعى للوصول إلى ترسيخ علمية العلوم الاجتماعية خصوصا علم الاجتماع وضرورة الابتعاد عن علم النفس والتفسيرات السيكولوجية، حيث في هذه المرحلة توجس دوركايم من الاثنولوجيا كما اتخذ موقفا سلبيا من التاريخ، غير أن التوجس والريبة الدوركايمية من الأنثروبولوجيا نجدها في المرحلة الثانية من المسيرة الفكرية والبحثية لايميل دوركايم تتغير جذريا نحو الإيجاب وإبراز الضرورة العلمية والفائدة الكبرى لعلم الأنثروبولوجيا وما يقدمه من فوائد في فهم الظواهر الاجتماعية.

ويرى ليفي ستروس أن التغير الدوركايمي تجاه الاثنوغرافيا خصوصا خلال الفترة الممتدة بين 1891-1912 كان سببه الرئيس اطلاعه على دراسات و أبحاث مؤلفين أنثروبولوجيين من ذوي السمعة العلمية والأكاديمية الموثوقة، والتي تميزت أبحاثهم ومؤلفاتهم بأنها انطلقت أساسا من البحث الميداني الحقلي الاثنوغرافي، ومن أبرزهم فرانز بواس بالإضافة إلى تأثره بأعمال الانثروبولوجي الشهير ادوارد تايلور وبرز تأثر دوركايم بوضوح لاحقا بأعمال هؤلاء في جملة أعماله الفردية أو المشتركة مع بعض أتباعه.

وظل التفكير الدوركايمي – مع ملاحظة أنه وظيفي مثل تفكير مالينوفسكي الا أنه لا يتبع في شيء الأنموذج البيولوجي بمقتضياته المنهجية الجديدة، لقد قام بتجديد ابستيمولوجية العلوم الإنسانية في النصف الأول من القرن العشرين، أو بلغة أصح سيجدد العلوم الاجتماعية ...وسوف يؤثر تأثيرا بالغا في البحث الأنثروبولوجي ولا سيما في انجلترا، ومن البديهي في فرنسا بلد دوركايم حيث لا يزال اختصاص الأنثروبولوجيا ضمن دائرة علم الاجتماع.[3]

[3] – فرانسوا لابلانتين: مفاتيح الأنثروبولوجيا